

# التراث العرّبي

## وعناصره الصّالحة لنهضة عربيّة حديثة

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

لان كثيرا من الاختراعات قد استمدتها الانسانية منذ فجر التاريخ من الحضارات السامية القديمة .

ان من يتتبع مقومات الحضارات الانسانية يلاحظ ظاهرة قديمة وهى امكان رد معظم هذه المقومات الى المدنية الشرقية ففى الفلسفة وفى العلوم وفى الاقتصاد يصطدم المؤرخ بطائفة من المعلومات منتشرة فى كتب منها المطبوع ومنها المخطوط يدل مجموعها على ان كثيرا من مظاهر المدنية التى تبناها عصر الاتبعات فى اوربا ترجع لاعمق العصور ولاعرق المدنيات الشرقية .

والحضارات تتكيف تبعا للجو المحلى وطبقا لمؤثرات تتفاعل فتسبب بطابع خاص .

فما هى وضعية الحضارة المغربية بالنسبة للحضارات العالمية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية بالنسبة للحضارات التى توالى على المغرب قبل الفتح الاسلامى ؟ وما هى علاقة الحضارة الشرقية بالحضارة المغربية فى عدوتى المغرب والاندىلس ؟

الحضارة فى مدلولها العام تستلزم طائفة من العناصر ، ابرزها : شيوع العمران وانتشار العلوم والفنون وحسن انتظام الاجتماع وتوازن الاقتصاد وعظمة الجهاز السياسى وضخامة المقومات العسكرية وما شئت من مظاهر العزة والمنعة والوفرة والامن والنظام . والحضارات تقوى وتضعف بحسب قوة تلك العناصر وضعفها ودرجة اكتمالها والصبغة التى تصطبغ بها ، فهناك حضارات يطفى فيها الجانب المادى على الجانب الروحى اى تسود فيها مظاهر العمران والمدنية الملموسة وتلك سمة يغلب وجودها فى الحضارات الاوربية بخلاف الحضارات الشرقية التى تضم الى جانب هيكلها المادى مجموعة روحية لا تزال الانسانية تستمد منها الى الآن سواء فى ميدان الفلسفة ام الاقتصاد ام الاجتماع وغير خاف ان اقدم الحضارات فى العالم هى الحضارة الشرقية من صينية وهندية ومصرية وآشورية وكلدانية وفينيقية وفارسية ولهذه الحضارات الاسيوية تراث فكرى ومادى كان ولا يزال من اجل دعائم الحضارة الغربية الآرية واقول مادى

الاجتماعية بل والدينية وقد اخترع البربر احرفا هجائية في الوقت الذي اخترع الكنعانيون احرفا خاصة بهم ، والحروف المعروفة بحروف تنفاغ لا تزال مستعملة عند البربر الطوارق الصحراويين الى يومنا هذا . وعند ما انكشف شعاع الحضارات القرطاجنية والرومانية والوندالية من المغرب انساق البربر في تيار حضارتهم الشرقية الاصلية التي تتبلور فيها مثل عليا ملكت منهم المشاعر وتغلغلت في الاعماق حيث كانوا - كالمغرب - يحبون الاستقلال ويشبثون بالحرية وتجمعهم مع العرب كما قال سديو ( Sédillot ) ميول وعواطف واحدة ومبادئ متشابهة كحب الفخر والهيام بالحرية واکرام الضيف ) .

وقد وجد البربر انفسهم بعد الفتح العربي الاسلامي ازاء شعب من بنى عمومتهم يشاطرهم مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة فامتزج المنصران ولم يزد توالي القرون هذا التمازج الا قوة فتكونت مع الزمان مدنيتان مغربية مزدوجة القوام انصهر في بوتقتها تراثان كلاهما شرقي الاصل طبعه الاسلام ووسسته العروبة ببسبها الخاص

وهنا تظهر حيوية الاسلام في افريقيا الشمالية وخاصة تلك الحيوية التي اقر بها الفريدييل كما اقر بها قبله ويعدده مستشرقون منصفون ، فالاسلام هو الذى استطاع وحده ان يخلق في هذه البلاد حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتان القرطاجنية والرومانية رغم سهوها واعنى بالحضارة الحق حضارة ترتكز على مقتضيات اجتماعية كوجود الامة واكتمال مقوماتها وتوفر العناصر الروحية والمادية الضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها وصيانة تراثها وتراثها وهذا الشيء قد اوجده الاسلام الذى انضوى المغرب تحت رايته طوال اربعة عشر قرنا .

وقد تطورت تلك الحضارة المغربية ضمن دائرة العروبة والاسلام محتفظة على مر العصور بروحها الشرقية الخالصة وتطورت بجانبها حضارة اخرى - هي حضارة الاندلس - استمدت روحها من تراث الشرق الذى نقله الفاتحون والمهاجرون واضفت العوازل والتفاعلات المحلية على تلك الروح جلبابا لم تكن لحمته ولا سداه ليبتدأ الى الاعماق حيث ظلت السيطرة للروح الشرقية وحدها .

ان العرب لما فتحو افريقية والمغرب وجدوا للحضارات العالمية ؟ وما هي منزلتها كحضارة اسلامية الامم التي تنازعت السلطة في المغرب قبل دخول الاسلام اليه والحضارة القرطاجية قد قضى عليها طفيان الرومان الذين محقوا عاصمة قرطاج واستاصلوا من ربوعها الزاهرة جذور المدنية والعمارة ثم بنوا على انقاضها شيئا جديدا ما لبث الوندال ان استاصلوه بدورهم ولكن لم يلبثوا في المغرب زهاء القرن حتى انتقض عليهم الروم سكان الامبراطورية الرومانية الشرقية ( بيزانس ) فارتكبوا فيهم ما ارتكبه هم في الرومان وما ارتكبه الرومان في القرطاجيين وقد ذكر المؤرخون انه لم تمض ستة اشهر على انتصاب الروم حتى عفوا على آثار الوندال بالبلاد وخرج المغرب من سلسلة الاحتلال الاجنبية صفر اليد خاوي الوفاض منهوك القوى ووجد سكان البلاد - وهم البربر - انفسهم كما كانوا اول مرة بدائيين في حضارتهم وقد اكد الاستاذ الفريد بيل ( Alfred Bel ) في كتابه ( دينية الاسلام في بلاد البربر ) ( ص 64 ) ان مما لوحظ كون لغة القرطاجيين والرومان وكل ما استمده البربر خلال الاحتلال الروماني والقرطاجني - قد اندرس بعد انقضاء الاحتلال المذكور وان البربر عادوا الى استعمال لغتهم والى اساليبهم الوحشية مما يدلنا على انهم لم يستفيدوا قلامة ظفر من حضارة قرطاج ولا رومة . ولعل الاستاذ بيل نسي ان يقول بأن الشيء الذى ظل متغلغلا في روح البرابرة هو اللغة البونية التي كانت قريبة من العربية والتي امتد اشماعها على يد الكنعانيين العرب بين ابناء البربر من قرطاج الى قابس ومن طنجة الى بجاية .

ولكن هل كانت للبربر حضارة قبل سلسلة الاحتلال الاجنبية ؟ ام كانوا مغمورين في بوتقة الشعوب المتوحشة كما يزعم كثير من المؤرخين الاجانب ؟ يجب ان نعلم قبل كل شيء ان البربر اسوييون لا افارقة وانهم هاجروا من آسيا الى المغرب عن طريق مصر والبلاد الليبية وجاء برابرة الاطلس المغربى على الخصوص من ربوع الشام حيث كان يجتمعهم قرب الجوار مع ابناء عمهم العرب الكنعانيين فالحضارة البربرية حضارة اسبوية بدائية ترتكز على الزراعة والرعى وقد وصف لنا مؤرخون اجانب التجانس الذى كان ملحوظا بين عادات العرب والبربر والذى كان يبلغ سويداء الحياة

وقد عاش المغرب والاندلس متحدين نحواً من ثلاثة قرون ( من عهد المرابطين الى اوائل عهد المرينيين ) وتم الانصهار والتمازج بين المنصرين اللذين كانت تجمعهما عوامل شتى لما كان بين البلدين من اواصر التزاور والمبادلة فكانت الوفود الاندلسية تترى على مراكز عاصمة المرابطين والموحدين ثم على فاس حاضرة المملكة المغربية في عهد المرينيين وكان افراد الشعب المغربي الذين يهبون بين الفينة والفينة لاجاد اخوانهم سكان العدة الشمالية يتصلون بالناصر الاندلسية ويقتبسون منها فكراً واجتماعياً واستمر الاحتكاك عن طريق رجال مشهورين خلال القرنين الخامس والسادس حيث ظهر فلاسفة واطباء افاذا كابن طفيل وابن رشد وبنى زهر ولم يكد ينتصف القرن السابع الهجرى الذى شهد سقوط معظم العواصم الاندلسية في قبضة الاسبان حتى تضخمت حركة الهجرة فكان لذلك اثره الفعال في حياة المغرب الناعمة وقد توالى سيل المهاجرين الاندلسيين ايام السعديين فنقلوا معهم نماذج الحضارة الاندلسية التى طبعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المغربية وعند ما وقع النفي العام بالاندلس غصت رحاب بعض كبريات المدن المغربية ككاس وتطوان وسلا بطماء وشعراء وفنانيين وتجار وارباب حرف ساهموا فعليا في صهر الحضارتين صهرا طبعهما منذ ذلك العهد بطابع الطرامة والرصانة والسمو وقد امتزجت كثير من العادات والمظاهر المقتبسة من الحضارتين امتزاجا عميقا تعذر معه رد كل منهما الى ينبوعه في كثير من الاحيان .

وقد ابرز الدكتور رينو Reinaud في كتابه الطب القديم بالمغرب ( نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72 ) « امتزاج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين » فما هي اذن هذه العناصر الخالدة التى بلورت حضارة المغرب والتي لا تزال في روحها ومبناها كنبلة بدعم كل تطور عربى في العصر الحديث ؟

فمن ابرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية حديثة تلك العناصر الاساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكر عليها الانبعاث في اوربا بعد عصر النهضة وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة الف عام الاطار الزمنى لازدهار الحضارة العربية في مختلف مجالها الانسانية فقد برهن العرب

ان للوضعية الجغرافية بعض الاثر في تكيف العقلية نوعا ما ثم الانتاج الفكرى ثم مظاهر الحضارة ومع ذلك فقد ظلت الحضارتان الاندلسية والمغربية شرقيتين بعد ان تفاعلنا نحواً من ثلاثة قرون اى منذ عهد المرابطين الى عهد المرينيين تحت اشراف عاصمتى مراكش وفاس .

والثقافة الشرقية هى المتوال الذى حاك عليه رجال للفكر المغاربة منذ صدر الاسلام ومن تتبع جزئيات التراثين الشرقى والمغربى اسلوبا ونزعة وروحا لاحظ وحدة الجوهر اديا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مرجعها الى مقتضيات اللون المحلى .

فالحضارة المغربية شرقية بدءا ونهاية ليس فيها اى اثر يذكر للحضارة اللاتينية التى قدر لها ان تمر مر السحاب في هذه البلاد .

والحضارة الاندلسية حضارة مغربية صميمة اى شرقية المبنى عربية المعنى وقد تناولت عواصم العدوتين وبالاخص مدينتى فاس وقرطبة مع عواصم الشرق في حمل راية الحضارة العربية الاسلامية في العالم ايام كان الجهل رابضا بكله الثقيل على اوربا فكانت فاس مركزا للاشعاع الفكرى والروحي يستمد من نبراسه الاروبيون كما هو معلوم عند من له ادنى الملم بتاريخ الحضارات .

وتراث العروبة نفسه لم يكتمل في كثير من مقوماته الا بمساهمة المغاربة في بناء صرحه كالشريف الادريسي ( استاذ اوربا ) بجغرافيته وابن بطوطة برحلاته وابن خلدون باجتماعياته والحامى باشراقاته وابن رشد بفلسفته ومفتمه وطبه وابن الخطيب بادبياته ونكاته (التى يبد بها الجاحظ في كثير من الاحيان) وابن حزم بتنسيقاته الفلسفية والدينية وابن طفيل بنظرياته في الفلسفة الفطرية .

فنحن معشر المغاربة بمنصرينا امة عربية المحتد شرقية الروح اسلامية العقيدة وحضارتنا حضارة شرقية عربية اسلامية في جوهرها ومقوماتها .

وهى حضارة تتمثل فيها كل المؤهلات التى تتكون الحضارة من بعضها فضلا عن مجموعها .

واستند الى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى وكتابه يعد اللبنة الاولى في هذا العلم اذ هو اول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصى المثانة واستخرجها بتشريح جراحى وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير في رتق الجراحات والظاهرة التى امتاز بها هذا الكتاب هو روحه التجريبية وتركيز النصوص على آلات اثبت صورها في كتاب هو اول تعبير للجراحة كعلم (3) ويرى لوكير (4) ان المغرب كان اشد اقطار الاسلام عمقا من الناحية العلمية يشهد بذلك - حسب القفطى (5) عدد اطباء والصيدلة المغاربة الذين رافقوا المعز الفاطمى الى مصر .

وكانت بفاس في القرن الرابع « مدرسة طبية (6) كما كان البرابرة قبل هذا العصر يستعملون الحقن بجراثيم الجدرى لضمان حصانة المصاب (7) على ان القرنين الخامس والسادس قد عرفا في المغرب الاقصى تحرر الفكر بصورة لم يسبق لها مثل - كما قال لوكير (8) تشهد بذلك رعاية البلاط المراكشى لامثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبنى زهر وقد اتصل بهذا الفن علم الصيدلة وعلم العقاقير والفلاحة حيث يعتبر كتاب ابن العوام ابى زكرياء يحيى بن محمد عديم النظر في الادب العربى (9) « لما يحتوى عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة وثمينة « بل هو اعظم ما انتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة « وقد كان الشريف الادريسى السبتي من هذا الطراز فطاف في آسيا واوربا ووصف نباتات كل قطر وصفا اصيلا (10) وكتابه في الادوية ملء بالملاحظات

طوال قرون عن اصالة نادره وعن روح خلاقة وعن استعداد للتكيف فابدعوا منها تجريبيا رصينا لم يكن للانسانية عهد به وطوروا الاختصاص التقنى وحرروا الفكر وعززوا شمولية الكشف العلمى بربط الماضى بالحاضر ودعم التبادل بين الشرق والغرب في تسامح وموضوعية وانكار للذات وتطلع عارم الى التضلع من اللغات واستكناه مختلف الاتجاهات والنظريات والمذاهب والنظم والعمادات لدى الامم والشعوب تفتيقا للفكر وتوسيعا للافق وبذلك شادوا بنيانا شامخا ما زال الى الآن موثلا ومنبعا للفكر الانسانى النزيه .

فلنستعرض اذن الوانا من الكشوف المغربية في مجالات الطب والكيمياء والصيدلة والعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وغيرها ثم بعض المجالى الاجتماعية والاقتصادية والفنية لنستشف مدى اسهام المغرب الاقصى في دعم الكيان العربى الاسلامى خاصة والانسانى عامة - فكرا وحضارة - بعناصر لا تزال غضة في منهجيتها وقوامها .

كان القرن الرابع في الاندلس هو عصر النهضة تتفق فيه الفكر العربى سواء من حيث دراسة الفنون والتقنيات ام من حيث الاختراعات والكشوف العلمية (1) وهكذا برز ابن جلجل كأعظم طبيب طبائعى في عصره عرب «مفردات ديستوريدس» وزاد عليها الادوية التى جهلها والتى كانت معروفة عند العرب كما برز ابو المقاسم خلف بن عباس الزهراوى صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » الذى كان اعظم ممثل لفن الجراحة في المدرسة العربية (2) اعتمده

- (1) لوكير - تاريخ الطب العربى ج 2 ص 350
- (2) لوكير ج 1 ص 334
- (3) لوكير ج 1 ص 456 ويوجد في المكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد 1427 د جزء من هذا الكتاب يحتوى على 28 صورة للمكاوى وآلات التشريح .
- (4) ج 1 ص 407
- (5) « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص 85 .
- (6) « شهيرات نساء المغرب » للكانونى (مخطوط) نقلنا عن « فن الاسنان بالمغرب الاقصى » لكاتب اوربى لم نستتب اسمه في المخطوطة .
- (7) كودار - وصف المغرب وتاريخه ج 1 ص 239
- (8) ج 2 ص 72 .
- (9) ج 2 ص 11 و 110
- (10) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 34

من اربعة وعشرين كتابا منها « قاتون الطب » في اثني عشر مجلدا وفياتيكوم (12) في الطب العام في سبعة اجزاء .

ونبع في الشرق العربي في هذا العصر علماء افاذ تساوقت ابتكاراتهم مع زملائهم في الغرب منهم السويدي صاحب « التنكرة » المتوفى عام 691 هـ وابن ابى اصيعة وجمال الدين القفطى على بن يوسف المصرى ( 646 هـ ) وعبد اللطيف البغدادي ( 629 هـ ) ( حيث امتاز في وصف اعشاب مصر ) وابن النفيس المصرى ( 687 هـ ) الذى كان اعظم اطباء عصره ولعل مما ساعد على تطور الطب وما اتصل به من علوم سهر المنصور الموحدى على مصالح الاطباء وتنظيمه لمهنة الطب وقد سبقه الى ذلك الخليفة المقتدر الذى فرض على الاطباء تأدية امتحان تقنى يبلغ عدد المتخرجين ببغداد عام 319 هـ ثمانمائة وستين طبيبا (13) وقد اجرى اول امتحان للصيدلة ايام المعتصم عام 221 هـ .

وكانت التجربة هى الطريقة العادية عند الاطباء حيث ظهر كتاب التنكرة لابي العلاء زهر بن زهر الاندلسى الذى كان والده ابو مروان عبد الملك بن ابى بكر رئيس الطب ببغداد ثم بمصر والقيروان (14) وهو كتاب ترجم الى الفرنسية عام 1911 م بعد ان تعددت ترجماته عشر مرات بين 1490 و 1554 م ) كمجموعة من الملاحظات سجلها ابو العلاء لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة في مراكش وبلاويصة

الشخصية اقتبس منه ابن البيطار في مائتى موضع من كتابه في الاعشاب ( لوكلير ج 2 ص 8 ) واعتمد عليه وحده في ثلاثين موضعا ( ص 68 ) كما اعتمده استاذ فابن البيطار ابو العباس النبطى وهو مع تلميذه ابرز العلماء النباتيين العرب الذين لم ينبج الشرق من يضاھيهم في هذه الآونة عدا فخر الدين الرازى وقد استطلع الاندلس بفضل شبكة علمائه — كما يقول لوكلير (11) — ان يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الاسلامى ويفضل هذا الانبعاث العربى في الاندلس صارت اوربا تنفض عنها اودية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتينى واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية فنقل جيرار دوكريمون وحده من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او اغريقيا معربا على ان حركة الترجمة بدأت في المغرب العربى منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسى الصقلى قد اسس مدرسة سالرنا وهى اول مدرسة من نوعها في اوربا كانت مبعث انوار الطب الحديث في العالم الغربى شارك في التدريس بها الطبيب يونس العربى الفاسى ( اللسان العربى ج 5 — بحث الدكتور احمد مكى ) وقد ولد عام 400 بتونس ( وتوفى عام 475 هـ ) وظلت المخطوطات الطبية العربية التى حملها الى سالرنا غذاء اوربا عدة قرون وقد ترجم للاتينية اهم كتب الطب العربى كزاد المسافر لابن الجزار وكتب للرازى واسحق بن سليلمان الاسرائيلى والى نحو

(11) ج 2 ص 72 وقد اعتمد ابن البيطار ايضا على عبد الله بن محمد بن صالح الكتامى الحريرى الشجار الذى كانت له حانوت بمراكش عام عام 583 هـ (اللسان العربى ج 6 ص 1968 ) اما النبطى فهو احمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية او ابن العشاب ولد باشبيلية عام 561 هـ ) ودرس الاعشاب شخصيا دون اعتماد على ديسقوريدس وجالينوس واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وقد رحل الى الشرق عام 613 هـ او 614 هـ بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب وصنف معجبا للحشائش وفاق اهل زمانه في معرفة النبات وتوفى باشبيلية عام 638 هـ ( نفع الطيب ج 2 ص 635 ) ونكر لوكلير بصدد ابن البيطار ( ج 2 ص 225 ) انه اعظم نباتى العرب وقد تنقل في جبال الشام صحبة رسام كان يصور له الاعشاب وخلف لنا اعظم مجموعة في العلوم الطبيعية وقد عينه الملك الافضل في مصر رئيس عشابى القاهرة وقيل رئيس اطباء مصر ( النفع ج 2 ص 683 ) وكتابه « جامع المفردات » اكمل ما صنفه العرب في الطب يحتوى على الفى وصفة للعقاقير ترجمه لوكلير الى الفرنسية وقد كان النبطى — حسب احاطة ابن الخطيب اماما في الحديث حافظا ناقدا .

(12) او (Viatique) ومعناه زاد المسافر

(13) القفطى ص 130

(14) نفع الطيب للمقرى ج 1 ص 445

عصرنا الحاضر تباعد هذه العناصر المتزايد بعضها عن بعض اما الحفيد ابو بكر بن ابي مروان ( 596هـ ) فقد اضاف الى تطلعه في الطب مشاركته في العلوم الاسلامية حيث كان محدثا يحفظ صحيح البخارى بأسانيده (18) ولم يكن في زمانه اعلم منه باللغة وكان شاعرا يحفظ ديوان ذى الرمة وهو ثلث لغة العرب (19) وظاهرة المشاركة هذه توفرت في كثير من الاطباء كابي جعفر بن هارون الترجالى تلميذ ابي بكر المعافى في علم الحديث والمتخصص في طب العيون و ابي يحيى هاتىء بن الحسن اللخمي الفرنطسى المشارك في الحديث والاصول والطب الذى (20) تتلمذ لابن فرتوتى بفاس ومن الاطباء الذين كان لهم باع طويل في التجارب العلمية الوزير ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة شيخ ابن رشد المتوفى بفاس عام 533 هـ (21) وقد تعاون معه تلميذه ابو الحسن سفيان الاندلسى المتوفى عام 537 هـ في تأليف كتاب التجريبتين (22) على ان ابن رشد نفسه ضرب اروع مثل في المنهجية التجريبية فاقترح في شرحه لابن سينا ما يصفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء في الامراض الرئوية مشيرا الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (23) وابن رشد هو اول من اشار الى الدورة الدموية الكبرى وعللها في كتابه « الكليات » الذى استمد منه ويليام هارفى (William Harvey) معظم نظرياته وقد سبقه ابن النفيس المصرى الى الكشف عن الدورة الدموية الصغرى او الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (24) .

وهذه الروح العلمية الفياضة هى التى تمخض عنها ما اشار اليه مؤرخ فرنسى من ادعاء العرب هو رونان (Renan) في كتابه «Averroès et

المناسبة لها ولايى العلاء ايضا « مجربات » طيبة جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط لها في الاسكوريال ( رقم 844 ) ولعل ولده ابن زهر ابا مروان عبد الملك مؤلف كتابى « الاقتصاد » و « التيسير » قد بذ سابقه حيث اعتبر اعظم من ابن سينا ولا يعمله سوى الرازى في الشرق (15) وكان لا يعالج الا بعد الفحص الدقيق وجس النبض والنظر الى قوارير البول لتحليله وقد نهج ابن زهر خاصة في كتاب « التيسير » اسلوبا جديدا في الحكمة القياسية مستخدما التمحيص العقلى للوصول الى احسن النتائج فهو طبيب التجربة يصف الدواء على غرار اطباء عصرنا ويباشر الصيدلة لتجربة الادوية بنفسه ولذلك توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية في البلاط المراكشى الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله كالامراض الرئوية ( التى منها تشريح القصبة في مرض الذبحة ) وكذلك التخصص في الجهاز الهضمى حيث استعمل الانابيب المجهزة لتغذية المسابن بعسر البلع والحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صؤابة الجرب وارتركز على الطبيعة لمعالج الادواء (16) وكان سر نجاحه هو تشبعه بروح العصر الحديث حيث كان يتسم مثلا بنكران الذات فينسى نفسه ويستغرق في مريضه وقد عرضت عليه حالات خطيرة حاول ان يعيشها مستمدا من ذكرياته وتجاربه ومنطقه وقد ابرز كودار (17) Godard هذه الميزة عند ابن زهر فلقد انه استعاض بالمنهج التجريبي والطريقة العقلية عن التقليد في ممارسة فن الطب وكاتت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهى الصيدلة والجراحة والطب العام ولعل من النقص الملحوظ في

(15) ذكر ابن عبد الملك في « الذيل والتكملة » ان ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من اهل

عصره .

(16) حضارة العرب - كوستاف لويون - الطبعة الفرنسية ص 530 .

(17) تاريخ المغرب ص 452 .

(18) الايبس المطرب ج 2 ص 180

(19) المطرب لابن دحية

(20) ابن ابي اصيبعة ج 2 ص 75

(21) جنوة الاقتباس لابن القاضى ص 335 .

(22) ابن ابي اصيبعة ج 2 ص 63 والقنطى ص

(23) لوكلير ج 2 ص 79

(24) حضارة العرب ص 531 ( الطبعة الفرنسية )

«l'Averroisme» (ابن رشد ومذهبه ) من اعتراف كريستوف كولومب في رسالة تركها بعد موته بأن الذي اوحى اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » على ان مجلة « نيوزيك » الامريكية اكدت (في عدد ابريل 1960) ان العرب انطلقوا قبل سنة 1100 م ( اى قبل كريستوف كولومب بأربعة قرون ) من ميناء الدار البيضاء بالمغرب الاقصى فرسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكى واكد هذه النظرية كثير من العلماء (25) .

اما المارستانات وهى المستشفيات والمصحات فقد وصف عبد الواحد المراكشى (26) الذى عاش فى بغداد - المستشفى الوحى قائلا :

« وبنى اى المنصور الوحى بمراكش بيمارستانا ما اظن ان فى الدنيا مثله وذلك انه تخر ساحة فسحة باعدل موضع فى البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فانتقوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يفرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشومات والمكولات واجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك فى وسط احداها رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت واجرى له ثلاثين دينارا فى كل يوم يرسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية واقام فيه الصيدلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا هنع له ماله .. ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت وكان فى كل جمعة بعد صلواته يركب ويدخله يعود المرضى .. ولم يزل مستمرا على هذا الى ان مات .

وذكر ميللى ( فى كتابه الموحدون ) المؤلف عام 1923 ص 129 ان هذا المستشفى « لا يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس .

ولا بدع اذا كان مستشفى الموحدين بهذه المثابة بالنسبة لاوروبا فقد قال ولتر فى مختصر التاريخ: « ازدهر علم الطب والتداوى عند العرب على حين كان الاوربيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون اربابه اذ ان الكنيسة كانت قد حرمته عليهم وحصرت التداوى فى زيارة الكنائس والاستشفاء بذخائر القديسين وبالتعاوى والرقى التى كان يبيعها رجال الدين» الى ان قال : وكان الاوربيون يستنكرون من النظافة لانها تشبه الوضوء عند المسلمين .

وقد كان الاوربيون يضطرون الى اللجوء للمستشفيات العربية فهذا الملك شانجه توجه الى قرطبة من اجل العلاج من مرض الاستسقاء ( لوكير ج 2 ص 351 ) .

وبدا افول الحركة الفكرية فى المغرب آخر الدولة المرينية بعد سقوط غرناطة واخر القرن العاشر الهجرى وردود فعل الاسبان الانتقامية (Reconquista) فلم ينبغ فى البحث العلمى عدا رجال قلائل امثال الوزير الفسانى مؤلف كتاب « حديقة الازهار » الذى نشر عنه الدكتور رينو (27) دراسة اكد فيها ان هذا الكتاب يمتاز بمنهجه الواضح جدا فى الوصف النباتى الذى يتسم غالبا بطابع الاصاله والطرافة مع محاولة مفيدة لترتيب ثلاثى يدخل عنصرا جديدا فى وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية وقد ظل المغرب مع ذلك خلال العصور الاخيرة من تاريخه - بالرغم عن احتلال البرتغال والاسبان لبعض مراسيه ومحاولة تدخل الاتراك فى شؤونه - يواصل منهجه التجريبي على نطاق ضيق حيث ظهرت اساليب (28) لمعالجة انواع الرمد وتشريح العين لازالة غشاوتها وتخدير -

(25) نشرة المعهد المصرى 26 عام 1934 - بحث بقلم ماكس ما يرهوب ص 33 وقد اشار ابن النفيس الى ذلك فى « الكتاب الشامل فى الطب » الذى كان يحتوى على ثلاثمائة مجلد اهدى منها المؤلف ثمانين مجلدا لمستشفى قلاوون .

(26) راجع الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ص 13

(27) المعجب ص 177 - كتاب ميللى (Les Almohades - millet) - 1923 ص 129

(28) نشرة معهد الدروس المغربية العليا ج 18 ص 195

الجبر والمقابلة الى اللاتينية وقد ابدع العرب في علم  
المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامي اى المغرب الكبير والانديس  
في بلورة هذا الاثماع العلمى العربى فظهر ابن حيزة  
المغربى في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في  
اللفريرم ، واشتهر في الاندلس ابو عبيدة مسلم بن  
احمد ويحيى بن يحيى المعروف بابن السمينه وابو  
القاسم اصبح بن السمع ( له تأليف منها المدخل الى  
الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبير في الهندسة )  
وابو القاسم بن الصفار وابو الحسن الزهراوى ( كان  
عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في  
المعاملات ) وابو الحكم عمر الكرماتى ( من الراشخين  
في العدد والهندسة ) وابو مسلم بن خلدون ( كان  
متصرفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب )  
وتلميذه ابو الحسن مختار الرعينى ( كان بصيرا  
بالهندسة والنجوم ) وعبد الله بن احمد السرقسطى  
( ناقد في الهندسة والعدد ) ومحمد بن الليث ( بارع  
في العدد والهندسة ) وابو حى القرطبى ( بصير  
بالهندسة رحل الى مصر عام 442 هـ ) وابو الوقى  
الطليطلى ( الهندسة ) ( النسخ ج 2 ص 874 ) .

وقد احصينا في «معجم الرياضيين بالمغرب الاقصى»  
الذى نشرناه عام 1385 هـ - 1965 م في مجلة  
« اللسان العربى » ( العدد الثالث ص 134 ) نحو من  
مائة وثلاثين من المهندسين والرياضيين وعلماء الهيئة  
المغاربة الذين برزوا في هذا القطاع العلمى الهام  
وخلفوا لنا تراثا رائعا اسهموا به في دعم صرح  
الحضارة والبحث العلمى في العالم ومن بين هؤلاء :

1 - المهندس الحاج يعيش الذى بنى لعبد المومن  
ابن على الموحدى مقصورة وضعت على حركات  
هندسية ترفع لخروجه وتنخفض لدخوله .

2 - المهندس عبيد الله بن يونس الذى استخرج  
مياه السقى بصنعة هندسية (35) .

المرضى قبل العمليات الجراحية واستخدام وسائل  
الايحاء والتنويم مع المهارة في طب الاسنان وقد اعطانا  
الطبيب احمد بن حمدون بن الحاج (29) المتوفى عام  
1316 هـ (30) للمرة الاولى في تاريخ المغرب تقسيما  
فنيا للدوية كما صنف الشريف العلمى الذى درس  
بالاسبطالية الكبرى بالقاهرة عام 1291 هـ كتاب  
« ضياء النيراس في حل مفردات الانطاكى بلغة اهل  
فاس » ( طبع عام 1318 هـ ) يحتوى على مفردات  
بربرية ولايتينية وافرنيجية مرادفة للمصطلحات الطبية  
العربية مع تحليل ذلك بالمصطلحات الحديثة كالتصعيد  
والتقطير ووصف العمليات العلمية وهو كتاب متين  
التحليل يعتبر نقطة تحول في تاريخ الطب المغربى .

ولنضرب الآن مثلا آخر بشعبة من العلوم هى  
الرياضيات فقد كان العرب اساتذة النهضة الاوربية  
في الحساب (31) وقد فند سيديو (Sédillot) (32)  
ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما  
اقتبسوا من الاغريق مثيرا الى ما ابدعه الفكر  
العربى في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسة  
للدائرة (tangentes) في الحسابات والاستعاضة  
عن الاساليب العتيقة بحلول مبسطة اصبحت اساسا  
في علم حساب المثلثات الحديث (trigonométrie)

وقد لاحظ العالم ثال (Chasles) انه كان للعرب  
فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة وتاكّد ذلك  
بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمى  
منذ عام 1836 م من طرف روزن (Rosen) ومن بينها  
بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية  
بطريق هندسية ويقا لبان الخوارزمى هذا لم يحل سوى  
المعادلات من الدرجة الثانية (équation de 2° degré)

وان الذى حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن  
ابراهيم(33) ولعل لفظتى الفوريرم واللوغريتم مشتقتان  
من اسم الخوارزمى الذى يعتبر اقدم الرياضيين العرب  
حيث عاش في عصر المأمون العباسى ونقلت كتبه في

(29) راجع كتابنا « تاريخ الطب والاطباء بالمغرب » 1380 - 1960 ص 72

(30) رينو ص 8

(31) الاعلام للمراكشى ج 2 ص 246

(32) كوتيسى (Gautier) في كتابه عادات المسلمين واعرافهم ص 238 .

(33) تاريخ الطب العربى - لوكلير ج 1 ص 320

(34) حاضر العالم الاسلامى ج 1 ص 151 .

(35) نزهة المشتاق للادريسي ص 67 من الجزء المطبوع حول افريقية والانديس .

14 - محمد بن محمد بن سليمان الورداني الفاسي ( 1094 هـ ) الخبير الاوحد في الرياضيات والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمساحة وتمد عاش في بغداد فذاع صيته واخترع آلة فلكية وصفها صاحب نشر المائى ( ص 87 ) .

15 - المنجم الرياضى محمد المسناوى مريـنو ( 1207 هـ ) صاحب كتاب « تقدير قرض النفقات » فى علم الاقتصاد الرياضى .

16 - الاستاذ المعطى مريـنو ( 1223 هـ ) صاحب كتاب « كنز الاسرار فى تعديل الكواكب » وكتاب ابعاد الثيرات ورصده وكتاب المزاوـل .

17 - احمد بن عبد الله التـنسانى الصويرى ( 1320 هـ ) صاحب المؤلفات العديدة فى الجبر والمقابلة واللوغاريتم والذى حل اشكالا هندسية نقلها الى الرياضيات وكان رئيس الرياضيين والمهندسين ورئيس المدفعية فى الجيش المغربى .

واذا اعتبرنا شمبة اخرى من العلوم التطبيقية كعلم الجغرافيا نلاحظ ان الخرائط العربية الاولى كانت عبارة عن خلاصة لما ورد عن بطليموس وظل العالم طوال الف عام عالية على هذا الجغرافى والفلكى اليونانى الذى هو من رجال القرن الثانى الميلادى حتى ظهر الشريف الادريسي الذى وصفه كوتيبى (42) بانه استاذ اوربا فى الجغرافية حيث ظل الغربيون يستمدون ازيد من ثلاثة قرون من خريطته العالية فكان اطول باعا من بطليموس واكثر دقة فى ملاحظاته وتقريراته لان بطليموس اخصيت عليه فى تقديره للمسافة الفاصلة بين طنجة والاسكندرية وحدها اغلاط بلغت ثمان عشرة درجة طولية بينما نقل اغلاط تقديرات الادريسي للاطوال ما بين طنجة وطرابلس الغرب عن درجة واحدة وقد نبه الادريسي على هذه

3 - ابن الياهمين الذى ولد بفاس اواسط القرن السادس والخبير فى الجبر والمقابلة .

4 - المهندس المعمارى ابو عمران موسى بن حسن بن ابى شامة مصمم بعض الاجنحة فى جامعة القرويين عام 599 هـ .

5 - ابن البنا المراكشى ( المتوفى عام 721 هـ ) صاحب مقـدـمة اقليدس ومختصر الفلاحة والاصول فى الجبر والمقابلة وتلخيص فى الحساب شرحه ابن المجدى احمد بن رجب بن طنبغا القاهرى عام 850 هـ واختره ابن الهائم القرافى المتوفى عام 815 هـ .

6 - على اليفرنى المكناسى ( 734 هـ ) وهو امام الرياضيات فى عصره (36) .

7 - على بن احمد التلمسانى صانع منجاة المدرسة العنانية بفاس عام 758 هـ (37) .

8 - امر المؤمنين فى الحساب ابراهيم المصودى 912 هـ (38) .

9 - الفلكى احمد الغزائى الفاسى (39) 920 هـ .

10 - محمد بن هلال امام التعاليم فى سبته وشارح الجسطى فى الهيئة ( 949 هـ ) .

11 - ابن مشون محمد بن يوسف السبتي صاحب الرجز فى الجبر والمقابلة (40) عام ( 989 هـ ) .

12 - السلطان احمد المنصور الذهبى الذى كان يفك كل يوم شكلا من كتاب اقليدس (41) .

13 - شيخ جماعة الفنون بهراكنس احمد التقلبتى الاختصاصى فى الرياضيات والمساحات والهندسة وهو من رجال القرن الحادى عشر .

- (36) درة الحجال ص 441  
(37) جنوة الاقتباس لابن القاضى ص 31  
(38) درة الحجال ص 107 وسلوة الانفاس ( ج 2 ص 4 ) .  
(39) درة الحجال ص 91  
(40) الاعلام للبراكشى ج 3 ص 263  
(41) درة الحجال ص 176 + الدرّة ص 51  
(42) فى كتابه عادلـت واعراف المسلمين عند ما تعرض له .

والزجاج البلورى الرقيق الذى سبقت به مصر  
صناعات بروسيا وتشيكوسلوفاكيا اوائل هذا القرن

وقد جعل الموحدون - كما يقول اندرى جوليان فى  
تاريخ افريقيا الشمالية - حدا للفوضى المالية التى  
كان يتخبط فيها ملوك الطوائف فظهر عنصر جديد  
هو التصنيع واصبحت سبنة مركزا دوليا لانتاج الورق  
يضاهيه جودة ورق شاطبة فى الاندلس وسامرا فى  
العراق وكانت هذه المراكز تمد اوربا الشرقية والغربية  
وقد عثر المستشرق كازيرى فى الاسكوريال على  
مخطوط عربى من ورق القطن يرجع تاريخه الى عام  
1009 م ( وهو هذا العصر بالذات ) يدل على ان  
الورق المتصود كان من القطن وقد سبق المغرب اوربا  
الى صنعه ومعلوم ان العرب اول من صنع الكاغد من  
الخرق البالية ( لوبون - حضارة العرب - ص  
519 ) وقد اصبحت فى فاس وحدها ايام الموحدين  
3094 مصنعا للنسيج و 47 للصابون و 12 لتسيبك  
الحديد والنحاس واحد عشر معبلا للزجاج واربعمائة  
لصنع الورق او الكاغد (43) علاوة على الثروة  
المعدنية التى اتخدت موادها الاولية من حديد ونحاس  
ومضة وتوتيا وغيرها منطلقا لسلسلة مصانع انتشرت  
بسرعة فى حواضر المغرب وبواديه بالاضافة الى مصانع  
السكر فازدهرت المبادلات بين المغرب ودول اوربا  
وخاصة موانئ بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية وكان  
المسلمون آنذاك هم اول من نظم الاساليب التجارية  
طبقا لمقتضيات التجارة الدولية - كما يقول اندرى  
جوليان - الذى اكد ان الاسطول المغربى اصبحت آنذاك  
اول اسطول فى البحر الابيض المتوسط .

ونفتح هنا قوسا صغيرة لنؤكد ان هذه الروح  
القانونية نجدها متبلورة فى مواقف المغرب الذى كان  
يقف دائما فى صف الشعوب التواقفة الى التحرر  
كشعب الولايات المتحدة التى كان المغرب اول دولة  
اعترفت باستقلاله فى العالم ايام السلطان محمد بن  
عبد الله المحدث الفقيه السلفى ( المتوفى عام 1204 هـ )  
الذى كانت دول اوربية تدفع لاسطوله جزية سنوية  
لحمايتها من القرصنة فى البحر الابيض المتوسط كما  
برهن عن روح دولية اكد المؤرخ والحقوى الفرنسى

الاغلاط ومعلوم ان الاقتصاد فى كل امة يعد قواما  
جوهريا فى تطورها الحيوى وقد اسهم العامل  
الاقتصادى فى بلورة الحضارة المغربية منذ فجر الاسلام  
فالامة المغربية قد استقبلت الفتح العربى كمحرر لا  
سيما وان العرب حملوا معهم الى افريقيا كما يقول  
كوتى « حكومة نظلمية مجهزة بجميع المقومات  
العسكرية والادارية » فكان فى ذلك الخلاص من  
جبايات مرهقة فرضها الرومان الذين احوالوا الشمال  
الافريقى الى « مخزن محصولات » لامداد روما فكان  
الامبراطور الروماني نفسه اكبر ملاك عتارى فى  
المغرب الكبير ومنذ اواخر القرن الثانى الهجرى انطلق  
الاقتصاد المغربى من عقالة فانقظم واصبح « منطقيا  
قارا » - كما وصفه المؤرخ طيراس فى تاريخ المغرب  
وامت عاصمته الادريسية فاس مركزا اقتصاديا  
وفكريا رسم الخطوط الاولى للوحدة القومية والتخفيف  
من عوامل الانفصالية والتشتت القبلى لا سيما بعد  
ان تجمعت فى العاصمة الجديدة ثمانمائة عائلة اندلسية  
هاجرت اليها ( عام 202 هـ - 818 م ) بمد وقعة  
الريش وقبلها ثلاثمائة اسرة قيروانية ( 198 هـ ) وقد  
شاهد المغرب اول عملة وطنية مستقلة عام 185 هـ  
حيث تبلور الاشماع الحضارى باستقرار اقوى ( حتى  
فى الصحراء ) وتساعد العمران وانبثاق مدة جديدة  
وتعززت الفلاحة التى كانت محور الاقتصاد بأعمال  
الرى الكبرى وازدهرت الحركة التجارية فكاثت  
سجلهااسة الصحراوية مركزا للقوافل بين المغرب  
والبحره وبغداد وكانت الظاهرة الاساسية التى  
اتسم بها هذا العصر هى الطبائنة والامن مما شجع  
ظهور البوادر الاولى لانتشار الضيع الزراعية وما  
لبث هذا الاقتصاد ان تكيف فانتسعت مصادره وموارده  
باتحاد الاندلس والمغرب وهكذا فعند ما كشف عباس  
ابن فرناس الاندلسى وهو اول طيار عربى بالاضافة  
الى الجوهرى استخدم آلة لامتطاء الاثير - طريقة  
جديدة لصنع الزجاج من الحجر تكونت آنذاك مجموعة  
من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من الكشوف  
وعمرت العالم باصناف المنجزات من اقتداح وعلب  
وانابيب وآوان كيمياوية وكانت المصانع تنفخ الزجاج  
وتفرغه وتنتحه وتعزز بذلك من الترميع فى دمشق

الكبير. جاك كايي انه سبق بها ما عرفته اوربا في العصر الحاضر .

وكانت هذه الفترة التي استمرت ازيد من ثلاثة قرون اروع فترة في تاريخ وحدة المغرب العربي تفتت خلالها معالم الحضارة ومراسم العمارة وبدائع الفن انضافت الى قوة التخطيط الاجتماعى الذى تبلور في تأمين السبل الصحراوية والتفجر الديمغرافى وتكاثر المدارس وتزايد الاحياء الجامعية وانطلاق مصانع المراهم والادهان والاكحال (44) ولعل من ابرز مظاهر هذا الازدهار آخر ايام بنى مريم القوة الشرائية للنفود حيث لاحظ ابن بطوطة انها كانت تعدل في المغرب ثلاثة اضعافها بمصر وبالرغم من النكبات التى بدأت تترى على المغرب بعد نكبة « الفردوس المفقود » فان المنصور السعدى استطاع اواخر القرن العاشر الهجرى في معركة « وادى المخازن » ايقاف غزو البرتغال للشواطىء المغربية مع تقليص النفوذ الاستعمارى البرتغالى في البحر الهندى والخليج العربى كما كان اسطوله قبل ذلك رادعا للصليبيين في سواحل الشام وفلسطين وصعقت اوربا بعد الهزيمة النكراء التى الحقتها المغرب بالبرتغال الذى فقد استقلاله من جراء هذه الضربة ازيد من ستين سنة نصارت الدول الغربية تخطب ود السلطان السعدى واقرخت انجلترا عليه التعاون لتأسيس كوندومنيوم الهند ونفق الدينار الذهبى المغربى على الصعيد العالمى وتساعد التصنيع وخاصة تكرير السكر الذى اصبح البلاطان الفرنسى والانجليزى يتنافسان فى اقتنائه كأجود ما ينتجه العالم وبعث المغرب تقوية لمبادلاته مع اوربا عملاء للدعاية لمنتجاته كما شارك في المعارض الدولية كمعرض باريز عام 1285 هـ وحى الصناعة الاهلية من المزاحمات الاجنبية وبذلك برهن في شتى المجالات على تساوقه مع ما يستجد من معطيات الحضارة بأوربا وقد عرف المغرب انظمة اقتصادية واجتماعية سبقت الاحداث والكشوف الاوربية فقد منحت الدولة مثلا القروض للدور التجارية لجلب المحاصيل اعوام الجفاف وبيعهما بأثمان في متناول

الشعب كما كانت تتخذ كل الوسائل لالغاء ما يزيد على الاعشار والزكوات من مكوس وجبايات تخفيفا لوطاتها على الشعب وعلى اقتصاديات البلاد ولعل المغرب كان من اكثر الشعوب ايمانا بفعالية العمل كراس مال قبل ظهور نظرية كارل ماركس التى يمتد انصار الاشتراكية والشيوعية بانها مكسب جديد للانسانية فقد اكد ابن خلدون في تاريخه (45) ان « الكسب هو قيمة الاعمال البشرية » فلذلك لاحظ ماسينيون في احصاء قام به عام 1924 للصناعة المغربية (46) ان عدد رجال الحرف في المدن المغربية يعادل نصف عدد السكان كما اعترف المؤرخون الاجانب بان نظام الحنطى عندنا وهو اثنى بما عرف اخيرا في ايطاليا (système des corporations)

كان يعمل في اطار من الحرية الكاملة لم يفسد الا باحتكاكه بنظريات اوربا وقد امتاز الانتاج الصناعى المغربى بجوده نادرة فتحت له منافذ في اوربا الى آخر القرن الماضى ويكنى دليلا على ذلك قطن المغرب الذى كان فيه نوعان معروفان في اوربا « سى - ايسلاند » لهما سدى حريرى طويل من الطراز الامريكى وقد تساوق مع ازدهار التصنيع ازدهار الفلاحة حيث بلغت السوائم وحدها خمسين مليون رأس من الغنم والمعز ستة ملايين رأس من البقر (47) ويرجع التفجر الديمغرافى بالمغرب لثقل الوفيات ولارتفاع معدل الاعمار الى ما بين 65 و 70 سنة في الحواضر ومائة في الاطلس بفضل انتشار المدارس والمستشفيات والملاجىء الصحية وخلو المجتمع الاسلامى من امراض العصر الناتجة عن الخمر او الزنا مثل الامراض التناسلية التى عرفت بالمغرب بالامراض الاسبانية او الفرنسية)

اما في الحقل الجامعى فقد احتفل المغرب منذ سنوات بذكرى مرور احدى عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين التى ما فتىء المؤرخون الغربيون يعتبرونها اول مدرسة في الدنيا « لا تزال قائمة الى الآن كما اعتبروا مدينة فاس في افريقيا اثنى بماثينا عاصمة الفكر بأوربا واعتبرها المشاركة انفسهم وخاصة منهم العراقيين كبنفداد المغرب (48) اى

44) المعجب لعبد الواحد المراكشى ص 177

45) م 1 - ق 3 ص 686 و 709 طبعة بيروت

46) النشرة الاقتصادية والاجتماعية المغربية رقم 49 - 50

47) كودار صفحة 188

48) المعجب للمراكشى

كعاصمة للغرب الاسلامى بالنسبة لدار السلام فى حاضرة الخلافة وهكذا امتاز المغرب بمدارسه الرائعة التى هى احياء سكنية للطبلة كما امتاز بمعاهد تقنية فى القرن الماضى كمدرسة المهندسين (49) ومدرسة المدفعية (بالجديدة) ومدرسة الفنون وتمزز هذا الانبعاث الفكرى بايفاد بعثات من الطلبة الى الخارج لاستكمال معارفهم العلمية والتقنية كما تمزز نتاج العقول بمطبعة حجرية نشرت مئات المخطوطات العربية المختارة من بين آلاف المخطوطات النادرة المكتسة فى المكتبات العامة والخاصة بالمغرب .

واذا كان للشعوب والامم مجال يجب الانصراف اليه تعزيزا للكيان الوطنى ودعما للحضارة القومية فهو هذه المجموعة من المجالات التى تستلزم تخطيطاتها الرصينة درجة عليا من التقدم الفكرى والسمو الاجتماعى والتطور التقنى بالاضافة الى الكفاية الاقتصادية ولذلك عمد الاستعمار - كما يقول اندرى جوليان - الى التعجيل بانتهيار المغرب اقتصاديا للسيطره عليه سياسيا ففرضت فرنسا حمايتها عام 1912 م عن طريق القروض والدبلوماسية المالية ولذلك وجب ان تستفيد نهضتنا الجديدة من هذه العبرة فتتلاقى كل استرهان لمقوماتها وتوجه تخطيطها الى دعم سياستها الوحودية العربية فى الاطار العالمى عن طريق تراثها الطبيعى فلو ان العرب استطاعوا خلق وحدة اقتصادية حقيقية تحتجز الثروات وخاصة البترول وارصدة البنوك ومختلف اوجه الاستثمار لتوفر لدينا اكبر ضغط سياسى على الغرب الذى ما زال يستنزف قوانا الحيوية ويجرح كرامتنا بمكايده ومن مظاهر حضارتنا الفكرية التى يجب ان نداب متكاتفين شرقا وغربا على صونها ودعمها لربط الماضى بالحاضر مكانة اللغة العربية التى كان نفوذها فى العصور الوسطى بعيد المدى حتى ان جانبنا من اوربا الجنوبية كان يوقن بأنها هى الاداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب - كما يقول جورج ريفوار - « وقد انطلق المنهج العلمى اول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية » بهذا اعترف

الاستاذ ماسينيون الذى اكد « ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا هو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم فى المستقبل » فلا يمكن اذن لاية نهضة عربية حديثة ان تكتمل دون ان تستعيد لغة الضاد مكانتها المرموقة فى المحافل الدولية عليا وتقنيا وحضاريا - ولنقصر نظرنا على مثال واحد يبرز مدى اسهام المغرب العربى فى دعم لغة الضاد فهذا الشيخ مرتضى الزبيدى امام اهل اللغة فى القرن الثانى عشر يتلذذ لابي عبد الله محمد بن الطيب الشرمى الفاسى ( المتوفى عام 1170 هـ ) فى اكبر موسوعة لغوية فى العصر الحديث « هى تاج العروس من جواهر القاموس » ( كما يتلذذ لمحمد الحسنى البليدى الجزائرى ( المقولات العشر للدكتور حتى ) وقد كان للاستاذ المغربى اثر عميق فى تكوين تلميذه المصرى حتى انه لا يمر بمشكلة الا واستند الزبيدى فى حله الى شيخه الذى كان اللغويون يصححون المعاجم من املاءه وتحليلاته كما فعل ابن القزاز البربرى حيث صحت عليه اللغة فى القرن الرابع الهجرى مع صاعد المرامى اصف الى ذلك ان الفكر المغربى قد طعم المعجم العربى بطائفة من المصطلحات النابعة من مصادر الاشتقاق العربية الاصلية (50) والتي اکتملت بها مجالى الحضارة العربية فى الإدارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران وقد استعرضنا جوانب من هذه المظاهر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » الذى هو عبارة عن سلسلة محاضرات القاها فى القاهرة باشراف معهد الدراسات العربية العليا فعناصر التكامل هذه لا ينبغى ان تخلق فى حضارتنا العربية ثنائية متنافرة الطرفين بل كيانا متساوق الاجزاء ينطلق من المفهوم العلمى العربى الخاص الى المدرك العلمى الانسانى العام فى تجاوب يحفظ للكيان العربى عالميته التى ظلت طابعه البارز طوال القرون الوسطى الى العصر الحديث وقد فجر الاستعمار بين الاخوة فى الشرق والغرب هذه الثنائية الانفصالية التى ما زلنا نعانى من ويلاتها الامرين فى

(49) المجلة الاسيوية المجلد العاشر ص 152 .

(50) راجع بعضها فى المستدرك على المعاجم العربية لدوزى وبعضها الآخر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » .

العربية والإسلامية شرقاً وغرباً دون ميز بتيوان هنا وهناك المناصب السياسية والدبلوماسية والعلمية فلم يكن للمواطنة الضيقة أي أثر في الحيلولة دون انبثاق هذا الشعور الفياض بالوحدة التلقائية النابضة من وحدة الدين واللغة والتاريخ والمصير وقد ظل اقطب الفكر المغربي ينتجعون الشرق لاستنبام المعارف وتبادل الاجازات العلمية ووجوه النظر في مختلف المجالات التقنية بالتراد ووثوق كما عرف الشرق كيف يقدر في شخص زملائه في الغرب الاسلامي حرية الفكر ونزعة التجديد ولعل ما لاحظته القرى وقبله ابن خلدون من فروق بين الشقين في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية يرجع الى انطباع الشرق بالعمق الكلاسيكي في ملكة العلوم واصطباغ الفكر المغربي بالوان من البحث جديدة تحت تأثير التفاعلات مع الغرب ومن بين المغاربة الذين كان لهم ضلع قوى في دعم هذا التبادل الثري بين شقى العروبة نجتزىء بالاشارة الى بعض ممن عاشوا في العراق امثال :

1 - جمال الدين محمد بن ابي بكر البغدادي اصله من قصر كتامة وهو صاحب الوترية وقد ورد على مراکش عام 655 هـ ثم للمرة الثانية عام 663 هـ ( الاعلام للمراكشي ج 3 ص 152 ) .

2 - محمد بن احمد بن ابراهيم البغدادي الفاسي المتوفى بفاس عام 546 هـ ( تكملة الصلة لابن البار ج 2 ص 193 الذيل والتكملة لابن عبد الملك ج 4 )

3 - ابو الحكم عبيد الله ( او عبد الله ) بن المظفر المريني المغربي كان طبيب المارستان بالعراق ايام السلطان محمود السلجوقي ( وفيات الاعيان ج 2 ص 307 ) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ( قسم المغرب تونس 1966 ص 289 )

4 - عبد الله المراكشي الهنتاتي جمال الدين فوض الله عمر البغدادي المعروف بالمرجد توفي عام 795 هـ ( الاعلام للمراكشي ج 6 ص 102 مخطوط )

كما تتلمذ للفزالي صالح بن حرزهم الفاسي ( انس الفقير لابن قنفذ ص 12 ) وابن حنين الكنتاني المتوفى

مجانباتنا الهامشية التي تنسينا احيانا عمق المشاكل المصرية وحتى في ادق مجالات المعرفة كان للمغرب النصيب المرموق فقد استطاع ان يسهم حتى في تكييف الفن المعماري العالمي بروائع ما زالت قائمة الى الآن حيث تجلى ابداع الموحدين منذ القرن الخامس في روعة وفخامة مرصد الخالدة او الخيرالدة ( Geraldca ) باشبيلية ومسجدي حسان بالرباط والكتيبة بمراكش كما امتاز الفن المريني في القرن الثامن برقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطير والتوريقات والمقرنات والترخيمات ونقوش الخشب والادهان البديعة والشئاسيات الملونة والنحاس الموه وترصيع المنارات والجدران بالزليجيات ورغم اتجاه الفن المعماري منذ القرن العاشر الى هندسة انحصون والقلاع لمواجهة الغزو الاستعماري الاوربي فقد ظل ينافس اوربا في التجديد حيث لم يكن قصر «الرياض» بمكناس يقل روعة عن قصر « فرساي » بفرنسا وهكذا تبلور في الفن المغربي طابع خاص اضفى على الحضارة في الشرق الغربي للوطن العربي لونا جديدا شكل احدى لبنات انبعاث الانسانية الفكرى منذ العصور الوسطى

ومن هذه العجالة يتجلى انه اذا كان المغرب العربي قد حقق تطورا رائعا في مجالات الفكر والحضارة المختلفة فما ذلك الا بفضل تساقق النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين شقى العروبة فابلق الروابط واعمتها قد استوثق بين الشرق العربي والشمال الافريقي والانطلس على يد رسل الفكر الذين كانوا يهاجرون زرافات ووحدا في موجات غامرة كل عام للحج او الدج وكان لهذا التبادل مظاهر شتى تبلورت في وفرة الوافدين من علماء المشرق على ملوك المغرب حماة العلم والفكر امثال المنصور السعدي (51) الذي احتضن بلاطه رجالات افذاذا من الحرمين والقدس ومصر والشام والعراق والهند وكان اتمصح جواز يقدمه المواطن المغربي او المشرقي في الحدود المطاطة هو اسلامه وعروبه فكانا يستيقضان ويستسفران في الحواضر

(51) راجع بحثنا حول رسل الفكر بين الشرق العربي والمغرب العربي في مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس 1387 - 1967 .

\* خصصنا العراق الشقيقة بالذكر لان هذه المحاضرة اعدت للمؤتمر الدولي للمؤرخين الذي انعقد عام 1973 ببغداد .

وشائج شتى وطبعها الاسلام والعروبة بميسهما  
النهائى .

ان المغرب الذى يتحلى منذ ازيد من الف سنة  
بالحضارة العربية ما زال نقطة وصل بين عالمين  
ومحورا جوهريا للروابط الدولية بين الشرق والمغرب

ويقبض المغرب - بفصل طنجة التى كانت عاصمته  
الدبلوماسية - على مقاليد غربى المتوسط بيننا  
تشرف قناة السويس على شقه الشرقى ولذلك فان  
هذين الطرفين العربيين الذين يشرفان على مركز  
يتسم بحساسية نادرة فى الوضع الدولى الراهن لا  
بد ان يلعبا دورا مهما فى حوض المتوسط الذى لا  
يمكن ان يتم فيه شىء بدون مساهمة - ترتكز على  
المساواة والسيادة - من طرف جميع الاقطار العربية  
التى تمتد حلقاتها من طنجة الى دمشق على طول ثلاثة  
اخصاس ضفاف المتوسط تلك حقيقة ناصعة كان من  
المحتوم ان تفرض وجودها على الافكار الغربية قبل  
اليوم .

وبلغ اشعاع الفكر العربى عن طريق المغرب اتاليم  
افريقية شاسعة تمتد الى تخوم النيجر جنوبا وحدود  
مصر شرقا فكان المغرب محور ومصدر حيوية نابغة  
عن الاستقلال الذى كان يتمتع به فلم تعد هناك دولة  
غربية مستقلة فى افريقيا غير المغرب بعد عام 1250م  
حيث سقطت مصر نفسها تحت سيطرة الاتراك فظل  
المغرب يواصل طوال الف عام حمل مشعل الحضارة  
العربية كولد بار للشرق العربى السرائد موقنا بأن  
الانتماء للشرق هو الميزة الجوهرية فى حضارتنا بل هو  
القوام الاساسى لكياننا ولهذا شكل المغرب كجزء قائم  
من هذا الوطن العربى نقطة وصل مع اوربا وقنطرة  
الى العالم الجديد وذلك ضمن التأثير الذى تركته  
حضارتنا فى الغرب والذى لم يكن لينصرم - ضمن  
تبادل موصول - لولا تلك الآفة الاستعمارية التى  
حولت من جراء مطامعها التوسعية مجرى تاريخنا  
فلو ان المغرب والغرب ظلا مستقلين سياسيا الواحد  
عن الآخر لامكنهما ان يعززا تقاربهما فى نطاق روابط  
حرة وتناقش قار لان التعاون لا يمكن ان يشر الا اذا  
جرى على اساس من المساواة وتبادل احترام السيادة  
والكيان فحتى اذا سلمنا بما يزعمه بعض المؤرخين  
من وجود رواسب عاطفية ضد الاجنبى فى نفوس

بناس عام 569 هـ ( الجذوة ص 304 و 322 ) وعبد  
القادر الاندلسى التطوانى التبين المتوفى عام 566 هـ  
( تاريخ تطوان - ل محمد داود ج 1 ص 74 )

اما العراقيون بالمغرب فقد الفت فى ثنائهم  
المصنفات منها « العراقيون الحسينيون بالمغرب »  
لمحمد هاشم زيان العراقى ( مهندس الفهارس ج 1  
ص 246 ) « والشيعمة العراقية بالمغرب » لاحمد بن  
عبد الوهاب الوزير الفسانى « ومطلع الاشراف من  
الشرفاء الواردين من العراق » لعبد السلام القادري .

كما شارك مغاربة فى كفاح الشرق ضد الاستعمار  
منهم :

1 - يوسف بن دوناس الفندلاوى اده شهد فى حرب  
الصليبيين فى الشام عام 543 هـ ( معجم البلدان ج 6  
ص 401 ) .

2 - العباس بن احمد الفاسى استشهد فى الحروب  
الصليبية بالشام عام 595 هـ ( الجذوة ص 278 )

3 - يوسف بن محمد بن عبد الله البلوى المالى  
المتوفى عام 602 هـ غزا مع صلاح بالشام ( تكلمة ابن  
الابرار ص 737 / صلة الصلة لابن الزبير ص 217 ) .

4 - محمد الجيلانى السباعى المراكشى حارب  
الفرنسيين بمصر ( عجائب الآثار للجبرتى ج 3 ص  
44 - الاعلام للمراكشى ج 5 ص 144 )

فهل يمكن لاي توحدة ان تقوم على غير هذه الدعامة من  
التكامل بين اجزاء العروبة وهل يتأتى لنهضة عربية  
رصينة ان تنبثق فى العصر الحديث دون الارتواء من  
هذا المعين الصانق الذى عكسته ولا تزال رواسب  
وذبول التخلف الناتج عن انفصال اجزاء الوطن  
العربى بعضها عن بعض ردحا طويلا من الزمن تحت  
سند بكيد الكائدين . وهناك مظهر آخر لحضارة  
المغرب يتجلى فى رسالتها فى افريقيا واوربا وامريكا  
الجنوبية فالمغرب يحتل موقعا ممتازا فى القارة الافريقية  
حيث يشرف على بحرين تركزت فيهما حيوية وحضارة  
ولكن هذا الوضع المحظوظ فى قلب العالم الغربى لم  
يفت فى اعضاد روح المغرب الشرقية التى عززتها

المغاربة فان ذلك لم يكن ذاتيا وانما هو شيء عارض تخض عن طغيان المطامع والدسائس الاوربية في البلاد .

ان النفسية العربية التي تجمع بين النبل والارحية لا تنفعل انفعالا سيئا الا ازاء ما يمس بكبرياتها الوطنية ويهددها في حريتها ورمز وجودها ففكرة الحرية عند الرجل العربي ليست معناها الفردية الانانية وانما هي توقان طبيعي نزيه لتحقيق الذاتية وحفظها.

لهذا تبلورت مدنيتنا في اشماع ثقافي ممتاز اكثر منها في نفوذ مادي ومع ذلك فان قوة المغرب المادية ما فتئت سائدة في البحر المتوسط الذي كان روماتيا فأصبح طوال العصور الوسطى ( بحرا عربيا ) كما يقول م ماكس فننيجو - بجزره وسواحله واساطيله ونهضة تجارته وازاحت لغة القرآن هي اللغة الدولية للتجارة والعلم .

وقد اكد الكاتب الفرنسي المقتر اندرى سيكفريد عضو اكااديمية باريس ان العرب غرسوا في البحر المتوسط حضارة يانعة فطوروها الري وادخلوا غراسات جديدة كالقطن والارز وقصب السكر والحوامض ( وبسببهم فقد البحر المتوسط طابعه المسيحى ) .

ان الاشماع المادي للقوة المغربية في المتوسط هو آخر ما نفكر فيه لابرار الرسالة التي اضطلعنا بها في هذا البحر ومع ذلك فان الاسطول الموحدى الذى كان يضم اربعمائة قطعة ما لبث ان اصبح اول اسطول في المتوسط ( اندرى جوليان ) على ان المغرب قد تزعم العالم الاسلامى والعربى في هذا العصر مما حدا صلاح الدين بطل الحروب الصليبية الى الاستنجد بالاساطيل المغربية لايقاف تقدم المسيحيين في طريق الشام وما لبث هذا الاسطول ان ضم ازيد من ستماية قطعة حربية ايام ابى الحسن المرينى . وسيادة العرب في البحر المتوسط ظهرت بوادرها ولما تهر على انبثاق الاسلام بضعة عقود فقد غزا معاوية بعض جزر المتوسط بألف وسبعماية ستفينة ثم قامت الاوراش التونسية تعزز بانتاجها الجديد قوة الشرق العربى البحرية حيث صنعت في بعض ايام ابن نصير وحده نحو مائة قطعة وقد برهن المغاربة منذ القرن السادس

المهجري عن حاسة استراتيجية مبكرة حيث ادرك عبد المومن بن على الموحدى اهمية جبل طارق الذى هو احد مفاتيح المتوسط فعمد الى تحصينه واحالته الى قاعده امامية للدفاع عن افريقيا والاندلس وحتى في خصوص فكرة الجندى المجهول نلاحظ وجود ما سمى فى الاندلس بالشهيد الغريب Le martyr inconnu فى المخاضة التي بين حصن بالمها Palma del Rio وهى الجرف Al-Jarf ( الاديسى - الزهة ص 208 ) .

ان رسالة الحضارة المغربية الحق في البحر المتوسط تتجلى في مظهرين اثنين هما التأثير الاقتصادي والاشماع الثقافى على ان الدور الاقتصادى نفسه لم يكن في الواقع سوى نتيجة للنفوذ الادبى فسياسة التسامح التي نهجها المغرب في اغلب عتموره قد ساهمت في توثيق الروابط بين المسلمين والمسيحيين حتى اصبحت المراسى المغربية في سواحل المتوسط مصدر نشاط فياض فهمى التي كانت ينبوع الاول للمبادلات مع بيزا وجنوة والبندقية ومزسيليا وغيرها من موانئ .

وقد اكد مسيو ماكس فننيجو مؤلف المعجزة العربية ( Le miracle arabe ) ان الحكومة الموحدية كانت من اشد الحكومات احتراماً للحرية وان الاندلس عرفت في عهدها عصرا ماجدا تآلق فيه نجم المعارف والعلوم العربية التي سرى تيارها المنعش في جنبات اوربا نعم ان من مظاهر تلك المعجزة العربية تحقيق شعوب اوربا الغربية من ايطاليين وفرنسيين والمان وانجليز لذلك الانقلاب الفكرى العظيم الذى تنفق عن عصر النهضة وقد سبق لكوستاف لويون ان قال نقلا عن العالم الايطالى ليبرى Libri ( لولا العرب لتأخر انبعاث الآداب في اوربا عدة قرون ) .

نعم لم يتصل الاوربيون بالعلوم العربية الا عن طريق اسبانيا المسلمة التى برهن غيا تنافس العناصر العربية والمسيحية عما للثقافة العربية من تفوق غير منازع على الثقافة اللاتينية وما لبث هذا الاشماع العربى ان غمر شعوب الغرب فبلغ كبريات العواصم ونشل مدن بيزا وبولونى ومونبيللى وسلامانك وانينيون وباريس من وحشتها اللاتينية حيث فتح امامها مجال الفكر والحياة الثقافية كما قال فننيجو ورغم انهزام

الموحدين السياسى وعودة الاندلس الى حظرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد فى نظر الغربيين حتى صارت باريس نفسها التى اسس جامعتها الملك فيليب اوجست على اثر عودته من الشرق - تستمد من المغرب والشرق كثيرا من كسوفها

والذى يزيد هذه الظاهرة غرابة ان الفتوح العربية لم تكن حركة توسعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تبدينية لا تهدف الى اى لون من الوان الادمج ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجهتهم ان جوهن ملك انجلترا عرض عام 1199 على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر ان يحببه ضد البابا فى مقابل جزية سنوية واعتراف الاسلام من طرف انجلترا ملكا وشعبا ولكن الملك العربى رفض هذا العرض لان اريحيته ابت عليه استغلال الضائقة السياسية التى كان الانجليز يتخبطون فيها لحملهم على اعتناق الاسلام .

اليس اذن من الغريب ان لا يتجلى اثر الحضارة العربية فى ذهن الاوربى المتوسط الا فى فتوح اوقف تيارها شارل مارتيل فى بلاط الشهداء ؟

ومنذ القرن السادس عشر امكن للحضارة المغربية التى كانت الى ذلك التاريخ منحصرة فى البحر المتوسط ان تدخل الى امريكا الجنوبية بواسطة الفزاة البرتغاليين الذين اكتسحوا اذ ذاك العالم الجديد فقد تلقت البرازيل مثلا طوال ثلاثة قرون متوالية تاثير المدنية الاندلسية فامتعت جميع مظاهر الحياة الاجتماعية الامريكية بطابع مغربى ينمو ويضعف حسب الاصقاع فتتقنت المرأة البرازيلية على طريقة زميلتها المغربية وكيفت اسلوب حياتها كما فعلت المرأة الصقلية المسيحية فيما حكاه الرحالة ابن جبير تكييفا - يحضو حضو النمل بالنمل ما عهد فى الاندلسيات

والمغربيات نعم اصبح الشىء الكثير فى البرازيل صورة لما كان عليه مجتمعنا فى العصور الوسطى من اناقة النساء الارستقراطيات فى الحواضر واتخاذهن الطنافس الوثيرة للجلوس بدل المقاعد الخشبية الى غير ذلك من طرائق الحياة الفردية ومناهج الفلاحة والغراسة فى البادية فبالرغم عن اختلاف الطقس استخدم الفلاح الامريكى اجهزة واساليب الفلاحة المغربية وانتشر استخدام الطواحين الهوائية فى مجموع انحاء امريكا الجنوبية مع جميع ما ينطوى عليه نظام الري عندنا ( السواقي والآبار الخ ) وقد نقل المعبون البرتغاليون الى امريكا جميع ما انجزه المغاربة فى القسم الجنوبى من الاندلس من مصانع السكر والقطن الى مزارع الحوامض ودودة القز ( كانت 3060 قرية اندلسية تتعاطى تربية دودة القز ) على ان اللغة الاسبانية الامريكية تنم عن الآثار التى تركتها حضارتنا فى الميدان الثقافى والاقتصادى والاجتماعى بامريكا فبالاصطلاح الامريكى فى المياه والسقى والرى معظمه عربى وكثير من الازهار والنباتات العطرية ما زالت تحمل فى اسبانيا وامريكا اسماء عربية اصف الى ذلك ما يمس ( مودة ) النساء من اسماء الحلى والمصوغات والشبه وثيق بين المغرب وامريكا الجنوبية فى ميدان الهندسة المعمارية حيث لا تختلف فى البلدين اساليب البناء فى الكنائس والاديرة والمنازل والحمامات وقد تاثر الاصطلاح الامريكى ايضا بالمفردات العربية. ويضيق المجال عن تعداد المناحى التى تجلت فيها آثار الحضارة المغربية والاندلسية فحتى اساليب الطبخ واسماء العائلات لا تختلف فى امريكا عنها فى المغرب ووحدة اصول العائلات العربية تفسر لنا نجاح الهجرة العربية الى امريكا ورسالتنا الحضارية اصبحت فى الظروف الدولية الراهنة اشد واقعية من اى وقت وابرز عنصر يجب ان تنطلق منه العناصر الحضارية الاخرى عند اخواننا فى الشرق لبناء صرح نهضتنا الحديثة .